فلسفة الدين في اليابان الحديثة المبكرة
(١٦٠٣-١٨٦٨)
Philosophy of religion in early modern Japan 1603-1868

د.طارق جاسم العزي
باحث اكاديمي
٠٧٧٠٤٥٣١٤٩٦

الملخص باللغة العربية :

الغرض من هذه البحث هو مناقشة مفهوم الدين لدى المجتمع الياباني في عصر أيـــدو (١٦٠٣-١٨٦٨) تلك الحقبة التي شهدت رسم ملامح العلاقة بين الدين والدولة، اذ وضعت حقبة ايدو اســـس علمنة اليابان بطريقة فريدة واستثنائية، فعلى الرغم من القدسية التي كان يتمتع بهـــا الامبراطـــور، استطاع حكام عصر ايدو في ظل نظامهم الاقطاعي الحفاظ على رمزية الامبراطـــور، الا انـــه تـــم تجريده من جميع سلطاته التنفيذية وعملوا على نقل السلطة الفعلية الى الشوگون، وقد استطاع حكـــام توكوگاو من تحقيق هذا الانتقال السلمي للسلطة وحافظوا على استقلال بلادهم واستقراره لمـــدة ٢٥٠ عام من خلال توظيف البوذية التي تم تبنيها ديناً رسميا للدولة والفلسفة الكونفوشيوسية التي اقامـــت العلاقات بين المجتمع على اساس هرمي وضعت الشوگون في قمة الهرم وقسمت المجتمع الى اربع طبقات كل منها تدين بولائها للشوگون، كما كما كانت ديانة الشنتو حاضرة بقوة في المجتمع الياباني باعتبارها ديانة يابانية خالصة تقدس الامبراطور التي وظفت سياسياً من قبل معارضي حكـــم اســـرة توكوگاوا والتي كان لها دور كبير في انهيار النظام الاقطاعي عام ١٨٦٨ والاتيان بعهد جديد عـــرف بـــ: عهد ميجي والذي شهد تبني الشنتوية ديناً رسمياً للدولة وقد ترتب على اثر ذلـــك الكثيـــر مـــن التطورات الفكرية والسياسية والعسكرية والتي ادت الى الهزيمة في الحرب العالميـــة الثانيـــة عـــام ١٩٤٥.

الكلمات المفتاحية (اليابان ،عهد ميجي،عصر ايدو،ديانة الشنتو،فلسفة الدين)

Abstract

Philosophy of religion in Japan (1603-1868):

The purpose of this research is to discuss the religion concept for the Japanese society during Edo period (1603-1868). The relation between the religion and state had been shaped during Edo. This period had established the modernization of Japan in unique and exclusive way. The feudal rulers Shogunate during Edo were able to retain the Emperor Symbolism, but they stripped him from all the executive authorities and they sought to transfer the power for the Shogun. The Tokugawa rulers were able to fulfill this peaceful transfer of power and maintain the independency and stability of their country for 250 years through using Buddhism as an official religion for the state and the Confuciusim Philosophy that established for the relationships among the society according to certain hierarchy that considered the Shugon at the top of this hierarchy and categorized the society based on four levels, each one of them loyal to the Shogun.

We also discussed the Shinto as an original religion sanctifying the emperor that politically exploited by the opponents of Tokugawa rulers who had large role in collapsing the feudalism in 1868 and to arise Meiji era that claimed the Shinto as an official religion for the state. Many ideological, political and military developments happened during Meiji era that led to the defeat of Japan in the 2nd world war.

١ –المقدمة

كان ولازال للدين دوراً محورياً في حركة التاريخ، اذ انه اثر في حياة المجتمعات على مر العصور، وان كان بنسب متفاوتة من مجتمع لاخر، وانتج حضارات مختلفة قائمة على اساس الميثلوجية الدينية، ولازال الدين اكثر الظواهر اثارة للجدل وتقلباً في العالم وقد حدثت الكثير من الحروب بأسم الدين لاضفاء القدسية عليها، لذلك شهدت السلطتين الدينية والزمنية صراعاً مريراً قادت الى حروب عديدة لفرض سلطان كل منهما على الاخر او تقويض بعضهما الاخر، حتى غيرت البعض من تلك الحروب وجه التاريخ واثرت بعمق في مسار حركة المجتمع وكانت نقطة تحول في تاريخ الكثير من الشعوب، ولعل الحروب الدينية التي شهدتها اوربا في العصر الحديث مثالاً حياً لدور الدين المحوري في حركة التاريخ، فمخرجات حرب الثلاثين عام (١٦١٨–١٦٤٨) والمتمثلة في

معاهدة وستفاليا عام ١٦٤٨، انتجت واقعا اجتماعياً وسياسيا واقتصادياً وفكريا جديداً اعطى زخما لحركة التاريخ، اذ كان مفتتحاً لتأسيس مفهوم الدولة القومية في التاريخ الاوربي الحديث. فكانت ابرز مخرجات معاهدة وستفاليا هي **العلمانية Secularism** يُنظر إلى العلمانية عموما، سواء تم تعريفها بشكلها العام اللادينية او الدنيوية، وهي دعوة الى اقامة الحياة على غير الدين أو عقيدة سياسية وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، تشير العلمانية إلى وجهات النظر التي تدعم الفصل بين الدين والدولة، أو على الأقل إضعاف تأثير الدين في الحياة العامة.على أنها نتاج للتاريخ الغربي الحديث اذ انها توضع مقابل الكنيسة فالعلمانية هي إيدولوجيا تشجع المدنية وترفض الدين كمرجع رئيس للحياة السياسية وفي موسوعة المعارف البريطانية تعرف على انها حركة اجتماعية تتجه الى الاهتمام بالشوؤن الدنيوية بدلا عن الاهتمام بالشوؤن الاخروية، وهي تعد جزءً من النزعة الانسانية التي سادت عصر النهضة، ودعت لاعلاء شأن الانسان، بدلاً من التأمل في الامور الغبية. انتشارها في جميع أنحاء العالم نتيجة للهيمنة الغربية. حتى دراسات العلمانية في آسيا تستند دائما تقريبا إلى فرضية أنه في حين اتخذت العلمانية العديد من الأشكال المتغيرة في سياقات مختلفة، فقد جاءت لأول مرة إلى المنطقة كفكرة من أصل غربي بحت، مفروضة على المجتمعات التقليدية التي كانت غريبة عليها. في حين ان الالتزام بهذا الاطار المفاهيمي قد يتم الإشادة به باعتباره صرامة أكاديمية، إلا أنه يحتوي أيضا على جانب سلبي.

اذ يمنع التعريف الضيق للعلمانية من استكشاف البيئات والمجتمعات غير الغربية التي تم نقل العلمانية إليها. حقيقة أن بعض الدول الحديثة، بما في ذلك ميجي اليابان، وجدت العلمانية مفيدة واعتمدتها دون الكثير من المقاومة، تشير إلى أنه على الأقل بالنسبة لبعض النخب غير الغربية، كانت العلمانية مفهوما مقبولا بسهولة. هذا يدعو المؤرخين إلى التحقيق في مفاهيم ما قبل ميجي التي ربما جعلت صانعي السياسات والمثقفين ميجي متقبلين وحتى متعاطفين مع منطق العلمانية. إن مفهوم الدين كمجال منفصل للمسعى البشري هو نتاج التاريخ الغربي بقدر ما هو نقيضه، العلمانية، وقد كتب الكثير عن الآثار الدرامية لاعتماد هذا المفهوم الحديث في ميجي اليابان من خلال توسيع مصطلح الدين ليشمل اليابان ما قبل ميجي، ولكن ليس مصطلح العلمانية، نقوم بإنشاء قالب حيث أفسحت إيدو "**الدينية**" المجال لميجي "**العلمانية**"[١]. هناك الكثير من الدراسات حول التاريخ الديني لإيدو، في حين أننا نمنع أنفسنا من الأدوات المفاهيمية للحديث عن الجوانب العلمانية للفكر والمجتمع الحديث المبكر

(١) Teeuwen , Mark, Early Modern Secularism? Views on Religion Seji KenbunroKu(1816), Japan Review,2013, ,P. 4.

في اليابان. والنتيجة هي تحيز، في أسوأ الأحوال، ينتهي به الأمر إلى ضرب الاستشراق الذي عفا عليه الزمن.هذا أمر أكثر إثارة للجدل لأن سياسات سلطة إيدو طورت تدريجيا مجموعة من الخصائص التي تدعو، على أقل تقدير، إلى المقارنة مع متغيرات العلمانية. وصف بيتر نوسكو التطور المبكر لسياسة الشوگونية تجاه "**الدين**" بأنه عملي إلى حد ما. حددت السلطات من أهدافها للسيطرة السياسية والاقتصادية، وأظهرت حذراً ملحوظا عند استدعائها لمناقشة مسائل العقيدة أو الإيمان. كانت الشوگونية مصممة على كسر التقليد السابق لحصانة المعبد من السيطرة العلمانية، واتخذت تدابير صارمة لتأكيد حقها في التدخل في شؤون المعابد والأضرحة. شمل ذلك القمع النشط للجماعات الدينية التي لم تخضع لسلطة الشوگونية، مثل فوجو فيوز Fuju Fuse جماعة تابعة الى طائفة نيشرين البوذية والمسيحيين عام١٦٧٠[١].

ولا بد من الاشارة هنا الى ان الحضارات الشرقية بشكل عام ارتكزت الكثير من قيمها ومعالمها على اساس ديني، كحضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل وكذلك الحضارات الفارسية والهندية والصينية، ولم تكن الحضارة اليابانية بمعزل عن الحضارات الآسيوية، فلم يستطيع التأريخ الياباني التحرر من ربقة القيم الدينية، بل ان العلاقة بين الدين والدولة في اليابان هي علاقة وثيقة لا يمكن فصلها حتى يومنا هذا، اذ يعتقد عدد كبير من ابناء المجتمع الياباني بأن دولتهم هي نتاج قصة دينية مقدسة تعرف بـ:"**اسطورة خلق الالهة**[٢]"، تعد اسطورة الخلق عند اليابانيين كغيرها من الحضارات الاخرى، التي اعتمدت على قاعدة الاتصال بين السماء والارض عبر جسر يصل بينهما، ومضمون القصة يدل على مدى تعلق اليابانيين القدماء بالاساطير والخرافات، مما جاء في هذه القصة تقول الاسطورة بأن السماء والارض كانتا ملتصقتين، ثم انفصلتا بعد ذلك عن بعضهما البعض، ومن ثم هبطت الالهه ايزانامي Izanami والاله ايزاناجي Izanagi من السماء على جزيرة أونوكورو Onokoro وخلقا معاً جزر أوياشيما Oyashima وهي (الجزر اليابانية)، ثم خلقا بعدها بقية الآلهة:

---

(١) Ibid, ,P. 4.

(٢) الاسطورة هي التعبير المعرفي الاول عن المقدس، وان العقيدة هي التعبير الثاني، وان الحدود بينهما ليست واضحة، كما هو معروف ان العلم ينفي الاسطورة، اما العلمنة في حد ذاتها فلا تنفيها بالضرورة، بل ق تأتي باساطير جديدة، ان الاسطورة هي حكاية او سردية، وهي غالباً حكاية منشأ وبداية، وأهم اساطير المنشأ اسطورة الخلق، كما ان الاسطورة ليست علماً بدائياً بالاسباب الاولى، بل تمنح المهنى للاشياء والحيوانات، وبالتالي فأن الاسطورة مكون حضاري، وان الاساطير تنتقل من ديانة الى اخرى وتتخذ اسماء مختلفة وتنتقل معها الاعياد والمواسم وتقديس الاماكن بتفسيرات اخرى. انظر: بشارة، عزمي، الدين والعلمانية في سياق تاريخي، الدين والتدين،بيروت، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، ج١، ط٣، ٢٠١٦، ص٥٧.

اله الرياح، اله الاشجار والجبال، ومن ثم ماتت الآلهه ايزانامي جراء الحروق البالغة التي اصابتها حين وضعت اله النار، وعندما اشتاق زوجها الاله ايزاناجي لرؤيتها، ذهب الى أرض الليل والتقى بها، ثم عاد مرة اخرى الى العالم. عندما غسل عينيه ولدت الهة الشمس (اماتيراسو) Amaterasu من عينه اليسرى وولد اله القمر تسوكيومي Tsukuyomi من عينه اليمنى. ولدت اله العواصف سوسانو Susanoo عندما غسل انفه، قسم ايزانامي سلطته بين ابنائه الثلاثة. اصبح اماتيراسو الحاكم الاعلى لكل كاميkami [١] وعين تسوكيومي سيد الليل والقمر واصبحت حاكمة للمحيطات. اصبحت اماتيراسو اله الشنتو الرئيسي ولا يزال اهم مزار شنتو في ايسي Esi حيث ظهر ايزاناجي واينزانامي لاول مرة، ولدت العائلة الامبراطورية من اماتيراسو[٢]. وبذلك يمكن القول ان الاسطورة في اليابان كانت اساس عقيدتهم وشكلت الاصل الالهي للاسرة الامبراطورية مطلباً ضرورياً في اليابان، من خلالها امكن تحديد اسس كثيرة عن حقيقة عقيدة الشنتو، وعن طريق قصة الخلق قدس اليابانيون الامبراطور وان هذا الاخير هو حفيد لآلهة الشمس اماتيراسو[٣].

خلال عصر كوفون[٤] Kofun(٣٠٠- ٥٣٨) وبالتحديد في عام ٣٥٠ بعد الميلاد بدأت سلالة ياموتو Yamoto في تأكيد نفسها على انها اقوى عائلة في اليابان. استخدموا القوة العسكرية المتفوقة

---

(١) لم تعني كلمة كامي الالهة الاسطورية مثل اماتيراسو واخواتها فحسب بل تعني ايضاً اي شيء يمكن اعتباره مقدساً او مثيراً للرهبة. وشمل ذلك الجبال والصخور والانهار والرياح والضوء.كانت الطبيعة ولا تزال مصدر الهام روحاني لاتباع ديانة الشنتو اليابانيين . غالباً ماتعتبر الكامي تجسيداً للطبيعة ويتم بناء الاضرحة في مناطق جميلة من الريف. بصرف النظر عن اماتيراسو الهة الشمس ركز معظم الناس على عبادة كامي المحلية من خلال المهرجانات وطقوس التطهير والصلاة. يمكن العثور على العديد من هذه الصلوات التي تسمي نوريتو في اينغيشكي او معاهد عصر انجي. وهي مجموعة مؤلفة من ٥٠ كتاباً تمت كتابتها في اواخر القرن العاشر. يتكلم عن ٧٥ من "الطقوس التي تستخدم في الاحتفالات العامة" بالاضافة الى قواعد حول كيفية اداء احتفالات الضريح. كما يقدم انجي شيكي النصوص الفعلية لـ: ٢٧ من ٧٥ طقوس الاحتفالات العامة. في مقابل هذه الصلوات والطقوس كان الكامي يحمي الناس من الاذى ويجلب لهم حصاداً جيداً.

(٢) بدر الين، غنبازية وحمداوي الحبيب، الحياة الاجتماعية والدينية في اليابان قديماً، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، ٢٠١٩، ص ص ٢٤-٢٦، متاحة على شبكة الانترنيت وفقا للرابط: http://dspace.univ-eloued.dz/handle/123456789/7089.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦.

(٤) تعني "القبر" نسبة الى مواقع الدفن المتقنة التي عُثر عليها في هذا العصرن، كان معظمها للسلالات الحاكمة واحتوت على العديد من شخصيات طينية صغيرة من شأنها ان تقود الموتى الى حياتهم التالية .كما احتوت بعضها على قوارب او خيول ربما كوسيلة للسفر الى عالم الموتى. غالباً ما تحتوي هذه المقابر ايضاً على سيوف ومرايا وقلائد مرصعة بالجواهر وهي كنوز الشنتو الثلاثة المقدسة . ولا يوجد اي ضريح شنتو حتى اليوم بدون مرآة وبعض الاضرحة الاكثر اهمية تمتلك الكنوز الثلاثة.

وسيطروا على الجزيرة بشكل منهجي واصبحوا في النهاية العائلة الامبراطورية، اذ زعموا انهم احفاد مباشرون لاماتراسو (الهة الشمس) اهم واقوى كامي في دينهم وبالتالي ادعو الحكم بالحق الالهي. ادعى الامبراطور انه يحكم بارادة اماتيراسو. وعندما حدث ذلك بدأ اليابانيون يعبدون الامبراطور باعتباره كامي نفسه وهي ممارسة ستستمر حتى ازالة الخط الامبراطوري بالقوة من السلطة الالهية.كانت هذه الممارسة لعبادة الامبراطور هي اوجدت ديانة الشنتو وكانت هذه ايضاً بداية ارتباط الدين بالدولة. في هذه الحالة اتخذت الرابطة شكل العبادة الفعلية لزعيم الدولة. في حالات اخرى سيكون الامر مرهون بالحاكم الذي يفرض المعتقدات التي يجب ان يعتنقها الناس ولكن في كلتا الحالتين من هذه النقطة فصاعداً كان الدين والدولة مرتبطين مباشرة. لم ينقطع خط العائلة هذا منذ عام ٦٦٠ قبل الميلاد مع الامبراطور الاول جيمنو Gymno الذي كان حفيد اماتيراسو. يعتبر اليابانيين ان الاسرة الامبراطورية الحاكمة منذ تأسيس اليابان ولحد الان هم سليلي الالهة[١]. ولم يكن يضطر الامبراطور حتى نهاية الحرب العالمية الثانية للتخلي عن اعتباره في مكانة الالهة. بالنظر الى المدة التي استمر فيها هذا الاعتقاد يمكن للمرء ان يرى بوضوح مدى صعوبة التخلي عنه.

وفقا لما تقدم مهما ابتعد او اقترب المجتمع الياباني عن الدين، الا انه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم الدولة اليابانية وانتج هذا الارتباط علاقة استثنائية بين اليابان والدين، واعتقد اليابانيون قديماً بأن بلادهم مقدسة وبالتالي لايمكن المساس بها وخير مثال على ذلك الغزو المغولي الذي اجتاح معظم بلدان آسيا حتى شرق اوروبا، وحاول المغول أن يوسعوا دائرة سلطتهم باتجاه اليابان عام ١٢٧٤، ومر الغزو عبر كوريا ونزل في شمال شرق جزيرة كيوشو Kyushu حيث واجه مقاومة عنيفة من اليابانيين. واستمر الهجوم المغولي البرمائي، لأسابيع عدة، في الوقت الذي قامت فيه السلطات اليابانية في تنظيم دفاعاتها في جزيرة كيوشو، تفرغ رجال الدين للدعاء المتواصل من أجل الخلاص الالهي. وبدت الدعوات الدينية أكثر فاعلية من وجهة نظرهم، اذ ضرب اعصاراً قوياً سفن المغول وأجبر الغزاة على الانسحاب باتجاه كوريا[٢].

---

(١) للتفاصيل عن قصة خلق اليابان. انظر: كاتو، هيديتوشي، "آلهة اليابان"، في: خفايا المعجزة اليابانية، مجموعة من الباحثين اليابانيين، تر: عبد الله مكي القروص، بيروت، الدار العربية للعلوم، ١٩٩٩، ص ص٩-١٣.

(٢) بيريز، لويس، اليابان في القرن الثامن عشر"سلسلة الحياة اليومية عبر التاريخ"، ترجمة: عابد إسماعيل، مراجعة: سامر أبو هواش، أبو ظبي، هئية أبو ظبي للسياحة والثقافة،٢٠١١، ص٣٠.

فسر اليابانيون هذه الرياح والتي عرفت بـــــ: كاميكاز Kamikaze، اي الرياح المقدسة، كنوع من الحماية الإلهية لأرض اليابان، وعززت لديهم المعتقد الياباني بأن اليابان أرض الإلهة وأنها محمية من قبلهم. عزز هذا الحادث من اعتقاد اليابانيين بقدسية ارضهم(١).

عند الحديث عن الدين في اليابان يمكن القول ان هناك نوعان عامان من المعتقدات الدينية: وهي مجموعة شخصية من القيم التي يتبناها المرء على اساس الايمان ومجموعة مؤسسية من القيم التي تفرضها الدولة. منذ بداية التاريخ الياباني وحتى عام ١٩٤٥ فرضت السلطات الحاكمة الدين الذي يجب على الناس اتباعه سواء كانوا يؤمنون بقيمه او لا، باستثناء المسيحية خلال حقبة حكم اسرة توكوگاوا حيث سمح لليابانيين باتباع اي معتقد ديني خاص يختارونه فضلاً عن الدين الرسمي الذي تتبناه الدولة(٢). ونظراً لان اليابان لم يتم غزوها اطلاقاً من قبل عدوان خارجي حتى الحرب العالمية الثانية، فقد تم نقل كل هذه الاديان بسلام وهذا ما سمح للشعب الياباني بدراسة وتكييف انظمة المعتقدات الخاصة به(٣).

لقد تم تداول مصطلح "الديانة اليابانية" اول مرة من قبل انيساكي ماساهيرو Anesaki Masaharu عام ١٩٠٧ لقُراء اللغة الانكليزية ومن ثم تم تقديمه للمجتمع الياباني. في الاصل ان هذا المصطلح يحمل معنى مزدوج: الاول يشير الى ديانة موحدة خاصة باليابانيين والثاني يشير الى ديانات متنوعة في اليابان. ان المعنى الاول يعتبر حصري بينما يعتبر المعنى الثاني للمصطلح شامل. تعمد معظم الباحثين اليابانيين تفادي بشكل مقصود المصطلح الحصري. وخلال بحثهم فانهم يفهمون الديانة اليابانية بالشكل الشامل لا الحصري. ان النقاش حول "الديانة اليابانية" اصبح جدلي ومتشعب ما بين ديانات متنوعة موجودة في اليابان نتيجة ديناميكية الصراع القائمة ثنائية التقليد والحداثة بخصوص العادات الدينية (المسيحية، البوذية، الشنتو وغيرها) من خلال مثل هذه المحاولة لتفكيك "**الدين الياباني**"، يمكن توضيح المعنى الحصري والذي يناقض الشعور الشامل بشكل غير متناسق(٤).

---

(١) Richard W., Anderson, "Kamikaze Cherry Blassoms andNationalisms: The Militarization of Aestheicsin Japanese History", Journal An Throphlical Quarterly, Issuez, 2003; P.355.

(٢) Symonds, Shannon Reed, A History of Japanese Religion: From Ancient Times to Present, The College at Brockport: State University of New York,2005, P. 2.

(٣) Ibid.

(٤) Jun'ichi , Isomae, Deconstructing "Japanese Religion" A Historical Survey, Japanese Journal of Religious Studies 32/2, © 2005 Nanzan Institute for Religion and Culture,P. 235.

ظهرت عبارة "الدين الياباني" لأول مرة كمصطلح أكاديمي في عام ١٩٠٧ في منشور باللغة الإنجليزية بعنوان التاريخ الديني لليابان The Religious History of Japan ، كتبه أنيساكي ماساهارو، أستاذ بجامعة طوكيو ومؤسس الدراسات الدينية في اليابان الحديثة.، تمت كتابة هذا الكتاب في الأصل لقراء اللغة الإنجليزية ولم يُترجم إلى اليابانية حتى عام ١٩١٢. يبدو من الواضح بان مفهوم "الديانة اليابانية" وبالرغم من ان تحليل نفوذ "الغرب" على "الديانة اليابانية"هو موضوع مثير للجدل يبدو ان مفهوم "الديانة اليابانية" قد اصبح مؤخراً محط انظار العالم الغربي، يمكن القول بان هذا المفهوم قد ظهر كردة فعل على المفاهيم الدينية الغربية والغرض منه وضع فوارق واضحة ما بين الديانة الغربية واليابانية ولغرض تشكيل الهوية الخاصة بالديانة اليابانية ووضع حدود في العلاقة ما بين الديانات الغربية واليابانية [١].

يعد هذا البحث محاولة لتفكيك "**الدين الياباني**" بمعناه الشامل تؤكد فكرة الأديان في اليابان على التعايش بين المعتقدات الدينية المختلفة، مما يجعل اليابان مكاناً هجيناً للمعتقدات الدينية حيث ظهرت الأديان وتم إدخالها، ثم أثرت بعضها في العض الاخر. اذ تجلت صورة هذا التعايش، باستثناء المسيحية التي تم اضطهادها تبعاً لظروف سياسية بحته خلال حقبة ايدو، نظرا لما شهدته هذه الحقبة من زخم ثقافي وفكري القى بضلاله على الدين كاحد روافد الثقافة اليابانية وفقاً لموديلها الحداثوي.

إنّ الصورة الدينية في حقبة ايدو صورة معقدة جداً وسيحاول هذا البحث تفكيك البعض من عقدها. بشكل عام لايمكن فصل الدين عن الحياة العامة للفرد، فالجانب الروحي يشكل جزءً اساسياً من حياة الافراد والجماعات، وان كان بنسب متفاوتة من مجتمع الى اخر تبعاً لطبيعة المجتمع وثقافته وارثه الحضاري وغيرها من الاسباب الاخرى، ولم يكن المجتمع الياباني استثناءً على هذه القاعدة. واذ اننا نبحث في فلسفة الدين[٢] وهناك الكثير من التعاريف لفلسفة الدين، الا ان ما يهمنا في هذا البحث هو التعريف الاشتراطي لفلسفة الدين والتي تُعرف بأنها "**مبحث فلسفي لاينتمي الى الالهيات، اي التدوين الممنهج للعقائد الدينية ولا يتولى الدفاع عن المعتقدات الدينية وتبريرها، ولا علاقة**

---

(١) Ibid.,P.P 236-237.

(٢) ظهر مصطلح فلسفة الدين، في بداية القرن التاسع عشر، حيث بدأ شيوعه واستخدامه للدلالة على مجال فلسفي مستقل ومنفصل، ويرجع الفضل في هذا الى حد كبير، الفيلسوف الالماني هيجل في كتابه " محاضرات في فلسفة الدين الذي نشر عام ١٨٣٢، ولكنه القي قبل نشر على شكل محاضرات القها هيجل على طلبته بين عامي ١٨٢١ و١٨٣١. أنظر: السيد علي، غيضان، فلسفة الدين المصطلح من الارهاصات الى التكوين العلمي الراهن، العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، سلسلة مصطلحات معاصرة(٢٦)، لبنان، بيروت، ٢٠١٩، ص ٦٧، متاح على شبكة الانترنيت وفقا للرابط: https://www.iicss.iq/files/files/5b4zky8.pdf

لفلسفة الدين بايمان فيلسوف الدين وعدم ايمانه، فهو محايد يتحرى الدقة والموضوعية والادلة العقلانية في بحثه، ولا شأن له بإثبات العقائد الدينية او نفيها، وهي فلسفة من الفلسفات المضافة مثل فلسفة التاريخ، فلسفة القانون، فلسفة الجمال...الخ ولاتختص بدين معين، فهي مثل فلسفة العلم الذي لاينتمي لعلم معين"[١].

وفقا لهذا المنظور نبحث في ماهية الدين لدى المجتمع الياباني اي فلسفة التفكير الديني لدى المجتمع ولا نعني بذلك الدفاع الفلسفي عن المعتقدات الدينية، بمعنى اخر نركز على ما يمثله الدين للناس بشكله العام بعيدا عن الغوص في الجوانب اللاهوتية للاديان الموجودة في اليابان في عصر ايدو. سنتناول الاديان في المجتمع اليابان خلال عصر إيدو وفقا لتأثيرها ودورها السياسي والاقتصادي في الحياة العامة وليس وفقا لتسلسلها الزمني.

٢- نظرة مجتمع إيدو للدين:

شهدت حقبة إيدو Edo (١٦٠٣-١٨٦٨) في الواقع درجة كبيرة من الانتقائية الدينية. فالقوانيين العسكرية للساموراي والتي تعرف بـــ:بوشيدو Bushido، كانت مستقاة من مجموعة مختلفة من المصادر، مع التأكيد على شمولها لكل من الكونفوشيوسية والبوذية. وكذلك الحال بالنسبة الى إحياء الشينتو، مجرّد عملية إعادة إنتاج من مصادر خاصة بها[٢].

عرفت اليابان في عهد ايدو ديانتان الأكثر شهرة من أصل العدد الكبير نسبياً من الأديان أو العقائد الجديدة التي نشأت في تلك الحقبة والتي قامت بشكل عام على تعاليم فرد بعينه. ولكن بالعموم، في الوقت الذي كانت هذه الاديان تلبّي احتياجات عاطفية معينة، الا إنّها لم تكن متطوِّرة على الصعيد اللاهوتي. اذ من غير المنطقي النظر إلى حقبة إيدو على أنها حقبة لادينية، وبمعنى اخر ليست حقبة الحادية؛ بل على العكس من ذلك، فقد كانت البلاد زاخرة في الاديان والمعابد والطقوس المرتبطة بها[٣].

كانت الديانات في عصر ايدو (باستثناء المسيحية التي كانت ممنوعة) كانت أمراً شخصياً وفي القرى، كان يتم الحثّ على الشعائر الطقوسية، سواءً في المعابد البوذية أم في أضرحة الشنتو، بل كانت هي العادة المتبعة، اذ ان ذلك يمثّل سمة عامة في حياة القرية كما هو الحال في المناطق الريفية الكاثوليكية الرومانية بما تزخر فيه من قديسين وشعائر ومرح يشترك به الجميع في المناسبات الدينية. لقد كانت المعابد تقوم بدور أمكنة يجتمع فيها القرويون، في المناسبات والاعياد والتي بدورها تقوم

---

(١) المصدر نفسه، ص٥٩.

(٢) Cooper, Michael, They Came to Japan: An Anthology of European Reports on Japan, 1543-1640, London, 1965,P.P102-103.

(٣) Lehmann, Jean-Prierre, The Roots Modern Japan, London, the Macmillan press Ltd, 1982, P.111.

بتقوية الأواصر بين العائلات، اذ كانت تشتمل تلك الممارسات الطقوسية على الدعاء والتضرع بشكل جماعي للآلهة املاً في الحصول على طقس معتدل، وموسماً زاخراً بالمحاصيل الزراعية. وبذلك يمكن القول إنّ الخط الفاصل بين "الدين" و"الخرافة"، كما هوالحال في جميع المجتمعات الريفية المشابهة، يظهر خطاً رفيعاً، الا انه من غير الضروري الخوض في نقاشات لاهوتية أو دلالية للتأكيد حقيقة إنّ اليابانيين الريفيين في حقبة إيدو، وبدلالة حالات مراعاتهم للدين، كانوا يميلون إلى التطابق مع أنماط عامة إلى حدٍ ما. ليس المقصود بذلك تشويه دور هذه الالتزامات الدينية، والمرح الذي تتسم به، بل الود الذي تحويه، بغية القول إنّ نوع الدين الذي يتحدث عنه المرء ذو طبيعة بدائية. وهذا يمثّل نمطاً تمت المحافظة عليه إجمالاً في مسيرة اليابان الحديثة(١).

غالباً عندما يتم الحديث عن الدين في اليابان يتم وصف اليابانيين بأنهم غير متدينيين، الا هذا الامر مجانباً للحقيقة؛ بل يمكن القول إنّ الدين، بالاصطلاح الثقافي العام، يقتصر تقريباً على تلبية حاجة عاطفية أكثر منها فكرية، وبالتالي فإنّ اليابانيين ليسوا شعباً لا يدين بدين، بل إنّهم غير ميالين لما وراء الطبيعة والفارق بين الاثنين فارقاً كبيراً ومهماً(٢).

كانت السمة العاطفية هي الطاغية على الدين الياباني الشعبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الامر الذي جعل موضوع الدين في اليابان موضوعاً جدلياً جرّت انتقاد بعض الغربيين الحاد، لاسيما المبشرين منهم، مع اعجاب غيرهم على حد سواء، لاسيما لافاكديو هيرن Lafcadio Hearn (١٨٥٠-١٩٠٤). لقد أنتجَ غياب معتقد تقليدي ديني وطني، بمعنى تفويض الأمور الإيمانية إلى الفرد، درجة عالية من التسامح الديني قد لا تُقارن بغيرها. يَظهر التعصب الديني، الذي يمثِّل سمة في هذه المرحلة أو تلك حتى في حقب الحداثة التي تمرّ بها المجتمعات كلها تقريباً، ظهوراً بيِّناً بغيابه في التأريخ الياباني الأكثر حداثة. فلم يؤدِّ رفع الحظر المفروض على الديانة المسيحية عام ١٨٧٣ إلى حالات اعتناق جماعي وبالمقابل لم يؤدِ إلى نشوء حركات شعبية متعصبة معادية للمسيحية، على النقيض، مثلاً، من تمردات تايبنغ Taiping (١٨٥١-١٨٦٤) أو الملاكمين الصينيين Christian Boxer (١٨٩٨-١٩٠١)المعادية للمسيحية والتي تساويها تعصباً في الصين. وما من حاجة للقول إنّ غياب الحركات المعادية للمسيحية أو حالات الاضطهاد هي التي أزعجت المبشرين، بالأحرى الحديث المحتوم ربما عن التعصُّب الديني، وبالتحديد إنّ الدين، بمصطلحات الجو الثقافي العام لم يكن موضوعاً يستميت المرء في تبنيه تبنياً جادا(٣).

---

(1) Thomas, Jolyon Baraka, The Concept of Religion in Modern Japan Imposition, Invention, or Innovation, Chicago and London: University of Chicago Press, 2012, P.4.

(٢) Lehmann, Op.Cit.,,P.112.

(٣) Ibid.

لكن هناك تطوُّراً مهماً موازياً نشأ أصلاً في حقبة إيدو، ظل نمطاً سائداً، رغم التحولات الكبرى التي شهدتها البلاد، ثابتاً حتى عام ١٩٤٥. وربما كان أفضل وصف لهذه الظاهرة عند نشوئها عبر مقاربتها بالتعاليم الأوروبية والإسلامية. ففي التعاليم الأوروبية، كانت دور الدولة مقتصراً بشكل عام على جمع الضرائب وفرض القانون وشن الحرب. اما المبادئ الأخلاقية والروحية فكانت من اختصاص الكنيسة(١).

كان الأوروبيون محكومين بشكل من الحكم الثنائي، من خلال اتباع عام لوصية يسوع من إعطاء "**ما لقيصر لقيصر وما لله لله**" ومن الطبيعي إنّ المعارك على فرض السلطان كانت تحدث بين الفينة والاخرى؛ فقد سعت الكنيسة في بعض الأوقات لتوسيع سلطتها الدنيوية، في الوقت الذي ربما كانت تلجأ فيه الدولة من حين إلى اخر لغزو الميدان الروحي لسلطة الكنيسة(٢). لكن نظراً لتساوي الطرفين كلاهما، تم الاعتراف بهذه الثنائية، وهي مستمرة إلى هذا اليوم. لهذا السبب، لا تظهر المشروعية والمبادئ الأخلاقية، في التعاليم الأوروبية، متساوية بالضرورة؛ وعلى سبيل المثال، يُعَدّ منع الحمل والإجهاض اجراء قانوني في أغلب البلدان الأوروبية اليوم، ولكنهما وفقاً لوصايا الكنيسة الكاثوليكية عملاً غير شرعي، بل وآثم في الواقع. ويمكن ملاحظة النمط العام نفسه في المجتمعات الإسلامية. فحين كان السلطان في الدولة العثمانية يمارس سلطة روحية على العالم الإسلامي، فقد تم تقليده بسلطة دنيوية على شؤون الإمبراطورية. ففي كل من الدول الإسلامية والمسيحية، حتى تلك التي تمت علمنتها، ظلّت سلطة رجال الدين والمرجعية الأخلاقية يتمتعون بسلطة روحية واسعة وكبيرة.

وهنا يجب التأكيد على إنه في كل من التعاليم المسيحية والإسلامية–اللتان تشكِّلان مجتمعتين نسبة كبيرة من سكان العالم–يوجد على أقل التقادير صراع كامن ضمن الفرد فضلاً عن وجوده ضمن المجتمع ككل بين النظام الشرعي، المتمثل بالحكومة تحديداً، والنظام الأخلاقي المتمثل بالكنيسة او المسجد. وربما يشعر المسيحي"الصالح" أو المسلم "الصالح" وفقاً لما يُمليه عليه ضميره ومعتقداته الروحية إنه ملزم بالسعي للإطاحة بدولة ملحدة. ولعل ابرز مثال لهذه الظاهرة هو الثورة الإسلامية التي حدثت في إيران عام ١٩٧٩؛ أما في العالم المسيحي، فربما كان أفضل الأمثلة الحديثة هو دعم رجال الدين في الإطاحة بالنظام الجمهوري الإسباني والتبرئة الروحية اللاحقة التي تمّ تقديمها إلى المحاولة الانقلابية وحكومة فرانكو (١٨٩٢–١٩٧٥) (٣).

---

(١) Ibid.

(٢) Ibid., P.113.

(٣) Ibid.

اذا ما كنا نقاشنا هذا خارجاً عن صلب الموضوع، فإنّ ذلك من أجل وضع أكبر قدر من التشديد على النقيض مع اليابان. ففي حديثه عن اليابان في الحقبة التي سبقت الحرب العالمية الثانية مباشرةً، أوضح البروفسور مارورياما ماساو Maruyama Masao في كتابه الفكر والسلوك في السياسة اليابانية الحديثة الصادر عام ١٩٦٣ سلطة الدولة بالطريقة التالية:

"**في اليابان، نجد أنفسنا في مواجهة موقف تشمل فيه السيادة الوطنية السلطة الروحية والسياسية. إنّ المعيار الذي يُحكم من خلاله على صواب أفعال الأمة وخطئها يقع ضمنها نفسها [أي في نظام الحكم الوطني]، وإنّ ما تفعله الأمة، سواءً ضمن حدودها أو ما وراء تلك الحدود، غير خاضع لأي شِرْعية أخلاقية تنسخ دور الأمة**"(١). اذ ارتبط الدين الياباني ارتباطاً وثيقاً بالسلطة الحاكمة منذ نشأته. في حين ان الاضطهاد الديني الفعلي حدث مرتين فقط في التاريخ الطويل للبلاد الا انه تم اجبار الشعب الياباني دائما بضرورة الدين. كانت الدولة والدين متشابكتين بشكل وثيق وادت التغييرات في القيادة الحكومية الى تبديل او تغيير الدين المفضل(٢).

تتنوَّع أسباب تطور هذا الشكل من مركزية الدولة أو ما قد يمكن للمرء تسميته بحكومة رجال الدين العلمانية، رغم التناقض الواضح في هذه المصطلحات. فأولاً، قد يشير المرء إلى عدم وجود أية هيئة دينية أو مجموعة عقائدية كانت تتمتع باحتكار تام في اليابان على شاكلة المسيحية والإسلام وعليه، فربما كانت البوذية متفوّقة في بعض الأحيان، مثلما كانت الحالة في حقبة إيدو، لكن لم يكن بالإمكان في أية مرحلة من مراحل التأريخ الياباني وصف البلاد بالبوذية، مثلما هو الحال، على سبيل المثال، مع تايلاند، لاوس، أو كمبوديا في الوقت السابق للثورات. وثانياً، تم تأسيس عملية علمنة الأمة وتطويرها بوسائل شتى على يد مؤسس اسرة توكوگاوا (١٦٠٣-١٨٦٨) إيه-ياسو، أسلافه وخلفائه. الذين سعوا لترسيخ نظام أخلاقي بوصفه جزءاً من نظام توكوگاوا Tokukawa. وبغض النظر عن أداء الوظائف الطقوسية، العامة منها والخاصة، فإنّ طبقة رجال الدين في اليابان أياً كان انتماؤها الطائفي لم تلعب، منذ نهاية الحرب الاهلية(١٤٦٧-١٥٧٧)، أي دور مهم أو تمارس أية سلطة. وفي ما يُسمّى بإحياء الشينتو في النصف الثاني من حقبة إيدو، التي تم منحها لسلطة الامبراطور الروحية والدنيوية، اذ اصبحت الشينتو عام ١٨٦٨ ديناً رسمياً للدولة التي وصلت ذروتها في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وأوائل أربعينياته، فلم يكن رجال الدين الشينتو أكثر من أداة من الدارسين العلمانيين أو الموظفين الحكوميين.

كان معنى تطوُّر البوشيدو بوصفه على الأقل مرجعاً اخلاقيا للمحاربين وتبنّي توكوگاوا للكونفوشيوسية الجديدة بوصفها الأيديولوجية الرسمية إضفاء الدولة على نفسها السلطة التشريعية للممارسة السلطة

---

(١) Quoted in:Ibid.

(٢) Symonds, Op.Cit., P. 5.

الأخلاقية على رعاياها. ويمكن العثور أيضاً على النظام الاجتماعي العام، مع تباين طفيف في التشديد عليه، في مجموعات أكثر خصوصية، من قبيل الاقطاعية أو الاسرة. وهكذا، فقد كان الهاگاكوري Hagakure (مخبّأ بين أوراق الشجر)، وهو نسخة متطرفة جداً من البوشيدو التي تقترح نوعاً من الافتتان المريض بالموت، قد نشأ في اقطاعية هيزين Hazen ومثّل قانوناً خاصاً يتوجب اتباعه بشكل رئيس من قبل ساموراي تلك الإقطاعية. وعلى نحو مشابه، كان الهدف من دستور ميتسوي Mitsui لعام ١٧٢٢، من بين الأهداف الأخرى منه، أنْ يكون دليلاً أخلاقياً لأفراد اسرة ميتسوي. إذ تمثّل المعتقدات الدينية، تحديداً إيمان المرء بإله وماهية ذلك الإله، شؤوناً شخصية صرفة. لكن السلوك الأخلاقي أمر عام–على مستوى البلاد، الاقطاعية أو الاسرة– الأمر الذي يؤدي إلى ما يسميه البروفسور ماروياما Maruyama " **تجسُّد الأخلاق في اليابان**". وهكذا، فإذا عدنا إلى النقطة التي أثبتناها في سابقاً بخصوص أوروبا، فإنّ ما كان شرعياً ليس بالضرورة أخلاقياً–وبصورة عامة، وضمن حدود معينة على ما يتضح، تمثل المبادئ الأخلاقية أمراً يقرره الفرد–أما في اليابان فبوسع المرء القول إنّ ما كان شرعياً، تحديداً ما يقع ضمن القوانين، يكون أخلاقياً وفقاً للتعريف(١).

ينبغي فهم مصطلح 'المشروعية' هنا بمعنى واسع جداً؛ فالمرء لا يشير بالضرورة إلى قوانين مكتوبة، بل إلى قيم ومجموعة قوانين سلوكية. لهذا السبب، طوَّرت اليابان في عهد إيدو ونظّمت مشروعية عامة، توجّب على كل فرد الالتزام بها، سواء كان على الصعيد الوطني وعلى صعيد مختلف الاقطاعيات. وبقدر تعلُّق الأمر بالدولة، ظلَّ هذا النمط الأساس سارياً حتى هزيمة اليابان عام ١٩٤٥. لكن تم الاحتفاظ بالمبادئ الأخلاقية العامة التي تأخذ شكل القوانيين لتكون سمةً لأغلب المؤسسات اليابانية، سواءً أكانت تجارية، مدارس، مصانع، وهكذا. قد يندهش الذي يصل إلى اليابان المعاصرة، عند اكتشافه أنّ الشركات اليابانية، على سبيل المثال، لها قوانينها الأخلاقية، إلى جانب شعاراتها، أناشيدها، وهناك نقطة جديرة بالذكر. ففي الوقت الذي ربما يقوم فيه الفرد الأوروبي بالذهاب إلى تأدية طقس يوم الأحد وتلقيه وصايا أخلاقية على شكل موعظة وإنشاده نشيداً يعبر فيه عن نيته سلوك طريق التقى فإنّ من المحتمل إنّ الياباني يتلقّى إرشاداً أخلاقياً من رئيس قسمه أو رئيس شركته وإنه ينشد أيضاً إنه سوف يسير في طريق التقى، لكن في مكان العمل بدلاً من المعبد او الكنيسة(٢).

إذا كان المرء يكتب عن التطوُّرات الفكرية في المجتمعات المسيحية، الإسلامية، أو البوذية، فسيتوجب عليه منح مساحة كبيرة من عمله للفكر الديني. وبالطبع إنّ مفكري هذه الثقافات سيهتمّون بأمور هذه الدنيا، ولكن من خلال ارتباطها بميدان المعبود عموماً. وكانت السياسة والنظام الاجتماعي

---

(١) Lehmann, Op.Cit., P. 114.

(٢) Lehmann, Op.Cit., P. 115.

في هذه الثقافات اعتبارات خاضعة للاهوت. على النقيض من ذلك، إنه غياب للفكر اللاهوتي المدهش في اليابان والاهتمام بالاعتبارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لدرجة جعلها الأولوية المطلقة[١].

٣- اضطهاد المسيحية في حقبة ايدو:

كان اتصال اليابان الأول بالأوروبيين مع أولئك الذين سعوا إمّا إلى الحصول على الربح المادي أو المتحولين إلى الكاثوليكية، وغالباً ما ارتبط الغرضان ببعضهما. فبدءاً بمنتصف القرن السادس عشر وما بعده، كان الوجود المسيحي في اليابان يتوسع بسرعة، رغم تقلقله الدائم، وفي بدء حقبة ايدو وعلى مدى عقدها الأول، كان هناك قرابة ٣٠٠،٠٠٠ مسيحي في اليابان، الأمر الذي لم يكن يمثل سوى أكثر من ١% فقط من السكان، مع تمركزهم في كيوشو، والمدن الكبرى الاخرى. بل حتى إنّ مَن كان اهتمامهم قليلاً أو منعدماً بالعقيدة كانوا في الغالب منجذبين لزخارفها الغريبة، مثل الصلبان، المسبحات، وزخارف مادية أخرى في ذلك الدين.

كان للمسيحية فرصتان وجيزتان للنجاح واحدة في القرن السادس عشر عندما تم تقديمها لاول مرة من قبل اليسوعيين والبرتغاليين ومرة اخرى بعد ما تم رفع الحظر المفروض على الدين بعد ٢٥٠ سنة لكن كلتا الفرصتين فشلتا في النهاية.. على مايبدو كان اليابانيون ايضاً غير قادرين على تغيير الدين ليناسب احتياجاتهم. وهو ماكانو قادرين على فعله مع البوذية. وفي حقيقة الامر ان اليابانيون يميلون الى اخذ اجزاء من المعتقدات الاجنبية والمنطق وقبول مايختارونه فقط ويغيرون الباقي مما يجعله شيئا يابانيا فريداً. وعندما لم يتمكنوا من فعل هذا مع الدين المسيحي تم اسقاطه ببساطة من قبل معظم الناس.

نجا اضطهاد المسيحية من التغيير الكبير القادم في الحكومة، والذي جاء مع بداية شوگونات توكوگاوا عام ١٦٠٣، عندما انتصر توكوگاوا إياسو Tokagawa Ieyasu (١٥٤٣-١٦١٦/١٦٠٣-١٦٠٥) في معركة سكيگاهارا Sekigahara عام ١٦٠٠. كان أحد خلفائه، توكوگاوا إيميتسو Iemitsu (١٦٠٤-١٦٥١/١٦٢٣-١٦٥١)، الذي نجح في طرد المسيحية رسميًا وإغلاق الجزيرة إلى أكثر من قرنين من العزلة، الا ان عملية غلق البلاد سبقتها اساليب قمعية ووحشية مورست بحق معتنقي المسيحية. بالإضافة إلى القضاء التام على المسيحية، فقد اتسمت حقبة حكم اسرة توكوگاوا من الناحية الدينية، برعاية الدولة لبوذية زن Zen وإحياء الكونفوشيوسية الجديدة التي ساعدت على إضفاء الطابع الرسمي على الحكومة الإقطاعية، وانتهت تلك الحقبة بتغييرات جذرية ادت الى احياء الشنتو وعودة السلطة الفعلية الى الامبراطور.

---

(١) Ibid.

كان أول ترتيب للمؤسسة الدينية خلال الشوگونية الجديدة هو تطهير الجزيرة من جميع سكانها المسيحيين. كان إياسو كأسلافه قلقًا من أن الديانة المسيحية التي كان يخشى من ان تمزق أمته، وكان قلقًا أيضًا من احتمالية احتلال الاسبان للبلاد، الذين، كما وردته معلومات، كانوا في خضم توسيع إمبراطوريتهم وتعظيم مواردها في الخارج. لم يكن يرغب في أن يصبح خادما للتاج الإسباني أو البابا الكاثوليكي. من أجل تلافي ذلك، واصل عملية الاضطهاد التي بداها سلفه تويوتومي هيديوشي Toyotomi Hideoyashi (١٥٣٦–١٥٩٨/١٥٨٢–١٥٩٨) لجميع المبشرين المسيحيين من التراب الياباني. وفي عام ١٦١٤،أصدر خليفته Hidetada (١٥٧٩–١٦٢٣/ ١٦٠٥–١٦٢٣) قانوناً رسميًا يقضي بوجوب مغادرة جميع المبشرين البلاد. وسيتم اعدام من يخالف القانون(١).

كان الأب كورنيليوس هازارت Cornelius Hazart (١٦١٧–١٦٩٠)، الذي شهد عمليات الصلب في ناگازاكي Nagasaki، لا يزال في البلاد خلال عهد هيديتاتا، وأبلغ عن العديد من الفظائع التي ارتكبها هذا الشوگون. في ١٧ تشرين الاول عام ١٦١٣، شهد حرق ٢٠٠٠٠ مسيحي مربوطين على الاوتاد. واكثر ما تأثر به هو صلاة التشجيع التي صرخ بها أحد المدانين، وهو كاهن اسمه ليو كانيونون، التي دونها على النحو التالي "**أيها الإخوة، يظهر اليوم قوة الإيمان بيسوع المسيح، بينما نتحمل بكل سرور اللهب، الذي يمكن أن يحرق أجسادنا، ولكننا سوف نخرج من الرماد، لنحافظ عليه في يوم الخلاص من النار الأبدية الى حياة اكثر سعادة! أيها الإخوة، لنكن متمسكين بشريعة الله،** (٢) **وتحدث عنه في مدينة فاكاتا، حيث كان جميع المسيحيين امام خيارين اما أن يوقعوا على كتاب يتبرؤا من ايمانهم، أو أن يقتلوا على الفور**".(٣) يبدو أن الأب هازارت أمضى بعض الوقت في التفكير في الحالة البائسة لإخوانه في اليابان، وقد وخرج بأربعة أسباب محددة تفسر قيام الشوگونية باضطهاد المسيحية:

الاول كان يمثل بشكل عام الخوف الذي سيطر على جميع الحكام من وقت لاخر، وهو الخوف من الإطاحة بهم. كان كلاً من الشوگون والدايميو يخشون من القوة المتزايدة التي أظهرها الغرباء الأوروبيون، ولم يكن لديهم رغبة في فقدان مقاعدهم في السلطة. والثاني كان سببًا أكثر تحديدًا، ويرتبط بخوف إياسو من انقلاب إسباني. ففي عام ١٥٨٧، التقى اللورد يامونـدونو، احد المسؤولين، مع قائد إسباني بشكل غير رسمي وخلال مناقشتهم، اخبره هذا القبطان عن طبيعة السياسة الاسبانية المتمثلة في إرسال مبشرين إلى بلد جديد باعتبارها خطوة ممهدة لكسب السكان المحليين. وبمجرد

---

(١) Earhart, H. Byron. Japanese Religion: Unity and Diversity. Encino, Ca. : Dickenson Publishing Company, 1 974,P.79.

(٢) Montanos, Arnoldus. Atlas Japannensis. Translated by John Ogilby. London: T. Johnson, 1670, P. 221

(٣) Ibid.

يتحقق ذلك، تقوم الحكومة الاسبانية بارسال الجنود، عند ذلك سيكون الغزو سهلاً، وابلغه كيف تمكن الاسبان بهذه الطريقة من بناء امبراطوريتهم الكبيرة. نقل ياموندونو هذا الخبر على الفور إلى الشوگون، مما دفع الاخير الى ازدياد الاضطهاد المسيحي. كما تم توظيف هذه الفكرة من قبل التجار الإنجليز والهولنديين، الذين ادعوا أن الأسبان قد وصلوا بالفعل إلى اليابان بنية غزو البلاد ووضع الحكم النهائي في أيدي البابا. اما السبب الأخير لعدم التسامح المسيحي الذي لاحظه هازارت هو مصير الأمير الياباني بورتاسيوس. لقد كان مؤيدًا قويًا للمسيحية، والذي تسبب في استياء الامبراطور الذي امر بحرقه وهو مربوط على الوتد عام ١٦١٢. وهذا يعني ان فكرة اعتناق أحد أعضاء الطبقة الحاكمة اليابانية لهذا الدين الأجنبي تمثل ضربة قاصمة للشوغون والدايميو، ولا شك أنهم أرادوا منع حدوثها مرة أخرى. **في نهاية المطاف، ألقى هازارت باللوم على الأسبان بانهم وراء اضطهاد المسيحيين، لأنهم كانوا يسعون الى بناء امبراطورية مترامية الاطراف**(١).

فاذا لم يجعلوا الحكام قلقين للغاية بشأن الاستيلاء العدائي، لكانت الشوگونية أكثر تساهلاً. كما ذكرنا سابقًا، كان لدى انكلبرت كيمفر، الذي أتيحت له الفرصة لزيارة البلاد بعد انتهاء حقبة الاضطهاد المسيحي وجهة نظر مختلفة عن الوضع. اذ حمل المبشرين انفسهم اسباب فشل انتشار المسيحية، بسبب افتقارهم للإعداد الجيد وطبيعتهم الجشعة.

فكتب أن "**تفاد صبر البادرس، الذين يرغبون دائمًا بالاستمتاع بثمار عملهم، وبعد أن غزوا أرواح الأمة سعوا أيضًا إلى السيطرة على ممتلكاتها الدنيوية، مما اثار حاكم هذه الامبراطورية الذي قمعهم بوحشية، وأطلق هذا الرعب ضدهم وعلى المسيحيين الجدد كما لم يتم وصفه في صفحات تاريخ البشرية. ونتيجة لذلك، تم القضاء على الدين تمامًا، حتى آخر مؤمن ".**(٢) **فكان هذا الجشع، مقترنًا بحقيقة أن المسيحية كانت مختلفة تمامًا عن الديانات الأكثر شيوعًا للشينتو والبوذية، كان السبب الحقيقي وراء عدم نجاحها.**

جاءت الضربة الأخيرة للمسيحية من الشوگون الثالث، إيميتسو، الذي ربما يكون الأكثر شهرة بقمعه الوحشي للمتمردين المسيحيين في كيوشو خلال انتفاضة شيمابارا عام ١٦٣٨، والتي قتل خلالها ٣٧٠٠٠ مسيحي. (٣) في عام ١٦٣٩، حظر إيميتسو جميع السفن البرتغالية من الدخول الى اليابان،

---

(١) Ibid, P. 222-232.

(٢) Kaempfer, Engelbert. Kaempfer 's Japan: Tokugawa Culture Observed. Translated by Beatrice M. Bodart-Bailey. Honolulu: University of Hawaii Press, 1999, P. 103.

(٣) Charles Wheeler Iglehart, A Century of Protestant Christianity in Japan (Tokyo and Rutland, Vt. : C.E. Tuttle Company, 1 959), 24; and Earhart, Japanese Religion, P. 80.

وأصبحت المسيحية رسميًا دينًا تحت الأرض. لن تمارس علنا حتى استعادة ميجي، بعد أكثر من ٢٥٠ سنة[١].

جنبا إلى جنب مع نهاية المسيحية جاء ما هو الجانب الأكثر شهرة من شوگونية توكوگاوا، والمتمثلة في سياستها الانعزالية، التي ارتبطت بشكل مباشر بحظر المعتقد المسيحي. في عام ١٦٣٩، اصدر إيميتسو مراسيم العزلة، التي أغلقت بموجبها الموانئ اليابانية امام جميع السفن الغربية. وأمرت بعدم مغادرة أي سفينة يابانية إلى أرض أجنبية، وأي شخص ياباني يعيش حاليًا في الخارج سيُقتل إذا حاول العودة الى البلاد. كما جاء في الإعلان أنه سيتم مكافأة المواطنين اليابانيين على أية معلومات تقدم الى السلطات اليابانية تتعلق بممارسة المسيحيين أو بالقساوسة والرهبان المسيحيين.[٢]

وفقا لكيمفر، الذي لخص المراسيم، "**أي شخص يبلغ عن كاهن سيكافأ بأربع إلى خمسمائة قطعة من الفضة؛ بالنسبة للمسيحي العادي سيتم دفع مبلغ نسبي ... أي شخص يدين بالدين المسيحي، وأي شخص ملوث من قبل يجب أن يسجن هذا الاسم الشرير.** "[٣] وكان التجار الهولنديين في ناكازاكي هم الأجانب الوحيدون الذين ما زالوا قادرين على المشي على الأراضي اليابانية، وقد تم وضعهم تحدت المراقبة المشددة. مع اختفاء التهديد الرئيسي لكل من الدول الأجنبية والدين الجديد، ركزت الشوگونية اهتمامها في الشؤون الداخلية التي كانت ترى فيها اكثر اهمية من الشؤون الخارجية للحافظ على وحدة المجتمع الياباني[٤].

٤- اتخاذ البوذية ديناً رسمياً للدولة:

البوذية وهي الديانة الخارجية الاكثر شعبية في اليابان وصلت الى البلاد من كوريا في القرن السادس الميلادي والتي استوردها قادتها من الهند والصين. مرت البوذية اليابانية بالعديد من التغييرات الرئيسية مع تنافس العديد من الطوائف ولكن العديد من المعتقدات الاساسية ضلت ثابته. على عكس الشنتو الى تركز العلاقة بين الاله والعالم المادي تؤكد البوذية والاله المصاحبة لها على الروح الفردية وخلاصها. ان اتباع المسار الثماني مطمئنون ليس بسبب المحاصيل الجيدة والحماية في الحياة ولكن من الخلود في الجنة بعد الموت. تعد الجنازات البوذية من اكثر جوانب الدين شيوعاً اليوم. بغض

---

(١) Earhart,Op.Cit., P. 80.

(٢) H. Byron Earhart, Religion in the Japanese Experience: Sources and Interpretations (Encino, Ca.: Dickenson Publishing Company, 1 974, P.P. 1 1 0- 1 1 1.

(٣) Kaempfer, Op.Cit., P.184.

(٤) للتفاصيل عن العلاقات اليابانية الهولندية في عصر أيدو انظر: حسين، طارق جاسم، إتجاهات الدراسات الهولندية في اليابان رانكاكو Rangaku (١٦٤١-١٨٦٨)، العراق واليابان ثمانون عاماً من الصداقة، تحرير وترجمة وتقديم : محمود عبد الواحد القيسي، بغداد، دار ومكتبة عدنان، ٢٠٢١، ص ص ١٧٧-٢١٦. .

النظر عن معتقدات المرء فأن الغالبية العظمي من المواطنيين اليابانيين سيحصلون على جنازة بوذية[١].

اعتمدت الشوگونية، البوذية كدين رسمي للدولة، ادى اهتمامها بالجيش الساموراي، على نحو خاص، الى صعود طائفة زن[٢] بسرعة إلى قمة الديانات الموجودة تمتلك طائفة زن البوذية تأثيراً على عامة الناس والتاكيد على مبدأ التأمل وفكرة ان الروح الحقيقية للبوذية لايمكن تعلمها من المذاهب او الوعظ من قبل الرهبان ولكن بدلاً من ذلك يجب الشعور بها في الروح. سمح التأمل للناس بتجاوز العالم المادي وتعلم الحقيقة الابدية. كانت تقنياتها بسيطة بما يكفي لفهمها من قبل معظم الناس ويمكن ممارستها في اي مكان ومع ذلك كان للدين ايضاً فلسفة عميقة بما يكفي لارضاء النبلاء والعلماء. يعتبر حفلات الشاي وزوايا الزهور وانواع الخط في الكتابة من تاثيرات الدائمية لديانة الزن البوذية وكلها تتطلب حركات دقيقة وتركيز عميقاً. كذلك يمكن رؤية تاثيرات ديانة الزان البوذية في تصاميم الحدائق، كان الجيش الياباني يحترم ديانة زن البوذية وخاصة مقاتلي الساموراي بسبب تركيزها على الانضباط الجسدي والعقلي وبعيداً عن الثروة والرفاهية والمادية. ولتأكيدها على الشجاعة ورباطة الجأش. وقد تركزت الزن على التأمل والفنون القتالية. تمتلك طائفة الزن البوذية تأثيراً على عامة الناس والتاكيد على مبدأ التأمل وفكرة ان الروح الحقيقية للبوذية لايمكن تعلمها من المذاهب او الوعظ من قبل الرهبان ولكن بدلاً من ذلك يجب الشعور بها في الروح. سمح التأمل للناس بتجاوز العالم المادي وتعلم الحقيقة الابدية. كانت تقنياتها بسيطة بما يكفي لفهمها من قبل معظم الناس ويمكن ممارستها في اي مكان، يعتبر حفلات الشاي وزوايا الزهور وانواع الخط في الكتابة من تاثيرات الدائمية لديانة الزن البوذية وكلها تتطلب حركات دقيقة وتركيز عميقاً. كذلك يمكن رؤية تاثيرات ديانة الزن البوذية في تصاميم الحدائق. ومع ذلك كان للدين ايضاً فلسفة عميقة بما يكفي لارضاء النبلاء والعلماء[٣].

ومع ذلك، لم يكن لدى الشوگون نفسه تفضيل رسمي لأي طائفة بوذية دون اخرى، طالما تم تبني البوذية نفسها. بل قام اياسو بعملية مصادرة إقطاعيات المعابد البوذية وتأديب الكهنة البوذ، اذ كانت هذه الاجراءات من وجهة نظره يمكن أن تمنع البلاد من الانزلاق إلى الفوضى.

---

(١) Symonds, Op.Cit., P.7.

(٢) تعود جذور طائفة الزن البوذية في اليابان الى القرن الاول، ولكن تم تاسيسها رسمياً في عام ١١٩١ على يد الراهب التينداي ايساي الذي درسها في الصين وجلبها معه الى اليابان . تم بناء معبد لطائفة الزن البوذية عام ١٢٠٢ في كيوتو وكمكافئة على اعماله الشاقة منح الامبراطور تسوتشي لايساي لقب رئيس الكهنة.

(٣) Symonds, Op.Cit., P. 8.

صارت الشؤون البوذية خاضعة لسلطة مكتب الباكوفو للجيشا–بوغيو jisha-bugyo (مفوض المعابد والأضرحة) وقد طُلب من اليابانيين بتسجيل جميع افراد عائلاتهم بالمعابد البوذية بما في ذلك الولادات والوفيات تم توجيه الكهنة البوذيين، الذين أصبحوا امتداد للحكومة، لتوخي الحذر ومتابعة الشؤون الدينية في مناطقهم، ليس فقط للبحث عن المسيحيين المرتدين ولكن أيضًا للتأكد من أن السكان لا يزالون مخلصين للشوكون. لقد تمتع البوذيون، الذين توجّب عليهم في حقبة السينغوكو خوض جدال مع المذاهب المسيحية والمواجهة معها، بامتيازات كبيرة وحماية من لدن حكومة توكوگاوا. كان إياسو وخلفاؤه مصممين على توحيد البلاد والقضاء على كل الخلافات، وكانوا مصممين على القيام بذلك باستخدام البوذية. تحت دين واحد، كانوا يأملون في إحلال السلام في البلاد. لسوء الحظ، بما أن الجميع اضطروا إلى اتباع الممارسات البوذية، فقد اصبحت البوذية التزاما شعائرياً اكثر منه ايماناً بتعاليمها ومبادئها. (١)

فقد تم خلال حقبة إيدو بناء معابد عديدة، توسيعها، أو الاكتفاء بتزيينها. ويعود إلى هذه الحقبة استكمال بناء مجمّع نيكّو Nikko، على سبيل المثال، بما يحويه من معابد راقية الزخرفة وجسور وتوريي Torii، التي ترقد في أضرحتها رفات شوگونات توكوگاوا. وأفادت المعابد البوذية أيضاً من عادة الشوگونات والدايميو في ترك عالم الأمور الدنيوية إلى الكهنوتية طلباً لحياة التأمل، وبعض العظمة في الواقع؛ وعلى العموم، لم يكن التشديد على الترشيد والطهر، بقدر التركيز على الفن والادب والعمران. وتمكن الرهبان البوذيون من الإفادة من حالة استتباب الامن والاستقرار وشيوع السلام في ربوع الجزر اليابانية وتوافر مواد الطباعة من أجل جمع وتصنيف مختلف الروائع العقائدية لدى طوائفهم.

على الرغم من انها حققت النتائج المرجوة، والمتمثلة بتوحيد البلاد، لكنها فعلت ذلك على حساب الإيمان الحقيقي بمذاهبها. هذا لا يعني بالطبع، أنه لم يكن هناك الكثير من الأشخاص الذين آمنوا بصدق بالتعاليم البوذية ورحبوا بها بسرور كدين ترعاه الدولة، الا انها فقدت خصوصيتها لحد ما لكثير من الناس عندما تم فرضها على السكان ككل. حددت تأثير الدين في المجتمع، حيث أصبح الكهنة بمرور الوقت موظفين حكوميين اكثر مما هم دعاة فعليين لنشر الدين(٢).

٥- الفلسفة الكونفوشيوسية الجديدة:

---

(١) Anesaki, Masaharu. History of Japanese Religion: With Special Reference to the Social and Moral Life ofthe Nation. London and New York: Columbia University Press, 1 995, P.260.

(٢) Bowker, 1 02; and Robert Neely Bellah, Tokugawa Religion: The Values of Pre-Industrial Japan (Glencoe, Ill. : Free Press, 1 957), 51.

على الرغم من الكونفوشيوسية ليست ديناً في حد ذاتها، الا انه من غير الممكن تجاوزها في الحديث عن الديانات والافكار اليابانية، لانها لعبت دورا في كل من التاريخ السياسي والديني للبلاد. بغض النظر عن المعتقدات الدينية كانت الاخلاق الكونفوشوسية مهمة للغاية منذ ان تم استيرادها من الصين في اوائل القرن الخامس الى جانب القوانيين الصينية وشكلها البيروقراطي للحكومة. اصبحت اهمية تدين الابناء وانعدام المساواة الاجتماعية والولاء الشديد للامبراطور هي الدوافع وراء العديد من الحركات الدينية خاصة خلال فترة حكم شوگونية توكوگاوا. قد لاتشكل الكونفوشوسية ديناً في حد ذاته ولكن لايمكن تجاهل اثارها على الدين والتنمية الاخلاقية(١).

اشتهرت شوگونية توكوگاوا أيضًا بإحياءالأخلاق والفضيلة،والتي عرفت بـــ: **الكونفوشيوسية الجديدة.** اسس ايميتسو مدرسة شوشي گاكو Shushi Gaku للكونفوشيوسية عام ١٦٣٠ باعتبارها المدرسة التي ترعاها الحكومة الاقطاعية للتربية الأخلاقية. كان يعتقد أن هناك الكثير من القواسم المشتركة بين الأخلاق الكونفوشيوسية وبوذية زن، حيث يؤكد كلاهما على أهمية طاعة الرؤساء واعلان الولاء المطلق للحكومة.اكدت تعاليم الكونفوشويوسية الجديدة على أن الحكام كانوا صالحين وعادلين، وبالتالي يستحقون الولاء المطلق. امتدت هذه الطاعة على نطاق أصغر لتشمل الاسرة اليابانية، حيث يجب أن تكون المرأة خاضعة للرجل والاخ الأصغر إلى الأكبر وما إلى ذلك. وفقًا للمؤلف روبرت بيلاه، قلل هذا المفهوم من النوازع الشخصية وتعدد الولاءات وبدلاً من ذلك جعل الولاء مفهومًا غير شخصي تمامًا. وادعى أن "**هذا الولاء هو ولاء لرأس الجماعة، أيا كان ذلك الشخص. اذ انه ولاء للمكانة وليس للشخص.**"(٢)

كانت فكرة الطاعة والولاء هذه بمثابة نعمة كبيرة للحكومة الإقطاعية. التي جعلت من الكونفوشوسية قاعدة اساسية لمجتمع غير متكافئ وقد كفل ولاء المرؤوسين لأنهم ايقنوا من الاخلاق والفضيلة يجب أن يطيعوا رؤوسائهم. وبهذه الطريقة فقط يمكنهم أن يعيشوا حياة مستقرة. (٣) ربما قال بايرون إيرهارت أنه من الأفضل عندما أشار إلى أن "**المفاهيم الكونفوشيوسية للانسجام الاجتماعي واحترام الرؤساء تعني أن الشعب الياباني يجب أن يتحد في ولاء لا شك فيه لسياسة الدولة**

---

(١) Symonds, Op.Cit., P. 8.

(٢) Bellah, Robert Neely. Tokugawa Religion: The Values of Pre-Industrial Japan. Glencoe, Ill. : Free Press, 1 957. P.13.

(٣) Anesaki, Op.Cit., P.P.260-263.

واهدافها." [١] كان هذا الولاء مؤثر جدا في ترسيخ روح الانسجام تلك السمة التي تميز بها المجتمع الياباني[٢].

كان لكل شخص واجباته الفردية، الا انها يجب ان لا تتقاطع مع الاهداف العامة واعلان الخضوع والطاعة لسيده، وهذا يعني وفقاً للكونفوشيوسية الجديدة أن الشخص يمكن أن يضرب عصفورين بحجر واحد، مما يعني أن تحقيق النجاح في الحياة الدينية هو نفسه تحقيق النجاح في العالم المادي. في البوذية الخالصة، كان التصرف الأخلاقي والعمل الجاد بمثابة اظهار الشكر لأميدا بوذا على بركاته وحمايته. فكان هذا يعني شكلا من أشكال إعلان الإيمان.

كان مبدائي الولاء والانضباط من المبادئ الاساسية في زن. لذلك لم يكن هناك انقسام في المسارين المادي والروحي، مما جعلهما أسهل في المتابعة .[٣] أدى هذا المزيج من البوذية والكونفوشيوسية إلى ابتداع البوشيدو، قانون المحارب الشهير للساموراي الذي عزز الولاء الشديد والانضباط الذاتي، غالبًا من خلال استخدام التأمل.

كان الجيش يحظى بتقدير كبير للغاية خلال شوگونية توكوگاوا، وكان الساموراي على رأس تلك المجموعة. لذلك وقع على عاتقهم مسؤولية تقديم افضل نموذج كي يحتذى بهم حول كيفية العيش بحياة اخلاقية. كان الولاء لرؤسائهم واجبًا أخلاقيًا وروحيًا. تضمن البوشيدو قواعد السلوك مجمل السلوك التي يقوم بها الفرد على الاطلاق. اداء التحية، وطريقة التوديع، ومسك مقبض السيف، وطقس الانتحار. وقبول الموت بدون تردد طالما أنه كرس حياته لخدمة سيده. وتم القضاء على الرغبات الفردية تقريباً. كانت حياة الترف والرفاهية منبوذة وكان الاعتدال هو المفتاح. يجب على المرء أن يشتري أشياء بسيطة، ويرتدي ملابس عادية، ويقتصد في الاكل والشرب، ويعمل بجد. كان هذا الرمز حياة المحارب، ويفضل المرء أن يموت على عكس ذلك. [٤]

امتدت هذه القواعد السلوكية الصارمة إلى جميع شرائح المجتمع. كل عمل يقوم به المرء تحكمه مكانته في الهرم الإقطاعي. تم التأكيد على الادخار والعمل الجاد والاعتدال إلى جانب الولاء المطلق. وبحسب ماساهارو أنساكي، "تم تحديد تفاصيل المنزل والطعام واللباس وفقا للفصول والمهن؛ إن تصرفات الكلام، التحية، المشي والجلوس، والعديد من الأشياء الأخرى تم وصفها بشكل صارم. [٥] أدى هذا السلوك إلى اقتصاد مستقر.

---

(١) Earhart,Op.Cit., P. 69.

(٢) Symonds, Op.Cit., P. 8.

(٣) Bellah, Op.Cit., P. 118.

(٤) Anesaki, Op.Cit., P.P. 263-264.

(٥) Ibid.P. 298.

أكد العلماء الكونفوشيوسيون أنه على الرغم من أن العيش ببساطة مبدا مهم واساسي في الكونفوشيوسية الجديدة، إلا أنه كان هناك أيضًا حد أدنى لمستوى المعيشة الذي يجب تلبيته، لأنه لا يمكن توقع أن يتصرف أولئك الذين يعيشون في فقر مدقع بشكل أخلاقي وعقلاني. هذا من شأنه أن يؤدي إلى التمرد. ولذلك شجع الشوگونات على زيادة زراعة الأرز وإدخال نباتات جديدة، بما في ذلك السكر والجينسنغ. تم منح إعفاءات ضريبية لأولئك الذين ساعدوا في هذه المزروعات. (١) كما صادرت الحكومة في وقت ما عقارات كاملة من تجار أغنياء كانوا يعيشون بترف. وذلك لمنع هذه الطبقة من ان تصبح قوة موازية لقوة الدولة ولكن أيضًا لتعزيز فوائد العمل مقابل المال. لم يُنظر إلى العمل على أنه علامة سوداء ضد مركز او مكانة المرء في سُلم النظام الاقطاعي، بل كان رمزًا إيجابيًا لإعادة العطاء للمجتمع، في حين كان يُنظر الجشع على أنه ضار بالمجتمع وكان خطيئة أساسية في البوذية. أعطت فكرة الكبرياء في عمل المرء انطباعًا بأنه على الرغم من أن المجتمع مقسم إلى طبقات وغير متساوٍ، الا ان ذلك لايعني مثلبة ان كنت عاملا، كانت ببساطة واحدة من العديد من الوظائف التي يجب القيام بها من أجل بناء مجتمع جيد وأخلاقي. كان العار الأكبر يكمن في المادية اي العمل من اجل الربح والجشع الشخصيين، والذي لايعود بالمنفعة للمجتمع ولا يمثل شكلاً من اشكال الشكر لبوذا. حتى البلاط الامبراطوري كانت حياتهم محددة بجملة من الاوامر(٢).

كان النظام الإقطاعي لحكومة توكوگاوا الأكثر تنظيماً بين الحكومات الاقطاعية التي عرفتها اليابان، فلم يكن يدين هذا النظام الاقطاعي بنجاحه الى طبقة حاكمة قوية فحسب، بل إلى الأخلاق والفضيلة التي يوفرها دين موحد والقانون ألاخلاقي. فقد كانت البوذية الوسيلة لإنهاء كل الفتن الدينية، وقد أقنعت الكونفوشيوسية الناس بأن الولاء والطاعة للرؤساء كان السبيل الوحيد للعيش حياة اخلاقية مستقرة. وقد اعطت شوگونية توكوگاوا صورة مثالية عن الوحدة بين الحكومة اليابانية والدين. شيء واحد فقط يمكن أن يحطم مثل هذا النظام المثالي – صعود دين أكثر قوة. جاء ذلك في شكل ما يعرف الآن بـــ "استعادة شنتو".

٥- احياء الشنتوية اواخر عصر ايدو:

الشنتو او طريق الاله هي اقدم الديانات الاصلية والوحيدة في اليابان الذي يركز على العلاقة بين عالم الانسان وعالم الارواح ويحتوي على الالاف من الالهة الذين يحمون ويعّتنون باتباعهم. تنقسم هذه الالهة الى فئتين تتكون من كامي محلي وكامي وطني. الكامي المحلي هو الاله المعبود في قرية او بلدة خلال الاحتفالات والمهرجانات حيث يشكرهم اتباعهم على توفير الطعام الجيد والحماية، وتستند هذه المهرجانات الى تقاليد متوارثة منذ قرون وغالباً ماتعود جذورها الى طقوس الشكر

(١) Bellah, Op.Cit., P. 111.

(٢) Ibid. P. 112.

الزراعية القديمة . اما الكامي الوطني الذي يحمي البلاد بشكل عام وتتم عبادته في اوقات محددة من السنة من قبل جميع اتباع الشنتو. يمكن رؤية الجوانب الرئيسية للشنتو في اهمية الطبيعة والطهارة وكلاهما لايزالان موجودان لهذا اليوم. وبما انها الديانة الاصلية الوحيدة في اليابان تظل الشنتو حتى اليوم هي الديانة الاكثر شعبية في البلاد.

على الرغم من الدعم الحكومي للبوذية باعتبارها الديانة اليابانية الرسمية، إلا أن الديانة الشنتوية كانت تتمتع بشعبية كبيرة لايمكن الاستهانة بها. كانت تحظى بشعبية خاصة في المناطق النائية، كما هو معروف دائماً، حيث يمكن للأشخاص البعيدين بما يكفي عن عيون الحكومة المركزية ممارسة طقوسهم وشعائرهم بحرية. وعلى أي حال، طالما أن الناس دفعوا شفاهًا عن البوذية ولم يمارسوا المسيحية، لم يهتم الشوگون بما يفعله هؤلاء الناس. فقد اشار كيمفر خلال زيارته لليابان، إلى اهمية التقاليد الشنتوية القديمة لدى الناس. وأشار إلى أنه "كما هو الحال بين جميع الشعوب الوثنية الآسيوية الآخرى، يُسمح دائمًا بحرية العبادة في هذا البلد، طالما أنها لا تشكل تهديداً للحكومة العلمانية." [١]في الوقت الذي كانت تمثل فيه المسيحية تهديدًا صريحاً للطبقة الحاكمة، لم تكن الشنتوية كذلك في الواقع، فعلى الرغم من انها لم تكن الديانة الاكثر شيوعاً في اليابان، الا ان الشينتو وفقاً لكيفمر كانت تحظى بقدر كبير من الاحترام والتقدير. [٢]

لقد حاولت الشنتوية الموائمة بين الجانب الدنيوي والاخروي من خلال التزلف الى الكامي (الاله المحلي). وقد ابدى كيمفر فضولاً شديداً للتعرف على الآلهة المحلية التي صلى اليها الرجال والنساء من أجل الحماية، وكانت هذه الالهه تشمل الظواهر الطبيعية مثل الشلالات، الجبال، التلال فكانت جميعها تعبد كالهه. وأشار إلى أن مزارات شنتو تقع دائمًا في مناطق جميلة وسط طبيعة خلابة، بعيدًا عن التجمعات والمدن المزدحمة. انعكس نقاء المناطق المحيطة بالاضرحة الشنتوية على النقاء البدني والعقلي للرعايا. فالنقاء الروحي يمكن تحقيقه من خلال طاعة القوانين العلمانية والعيش حياة أخلاقية، اما النقاء الجسدي فيمكن الحفاظ عليه عن طريق الغسل المنتظم. على سبيل المثال، يجب على الشخص المعرض للدم الانتظار سبعة أيام على الأقل قبل الاقتراب من الضريح. [٣]ولعل افضل ما قدمه كيمفر عن تاريخ اليابان هو الوصف المفصل لطبيعة الطقوس الشنتوية خلال هذه الحقبة: "**يتم تنفيذ الولاء العادي بالطريقة التالية: يقوم المصلي بتنظيف جسده جيدًا، ورتداء ملابس نظيفة وفقًا لما يمكنه أن يلبس ويضع لباس الشرف كاميشيمونو في الأعلى، ثم يذهب الى الفناء الخلفي من المعبد حيث يوجد حوض ماء حجري يعرف باليابانية بـــ: تي ميزيا Te Mezya، تعني مكان غسل**

(١) Kaempfer, Op.Cit., P. 103.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid.P.P106-110.

اليد، وتستخدم هذه المقصورة للطهارة عن طريق مسح الفم بالماء، ثم صب الماء على اطراف الاصابع، وهذه الطهارة الرمزية التي تعني الاستعداد للعبادة، وهي تشبه لحد ما الوضوء عن المسلمين، لينتقل بعد ذلك الى الطابق الاعلى اذ توجد شبكة ارضية امام الضريح المغلق، ويواجه المرآة بداخله راكعًا، يطأطا رأسه ببطء وبتواضع إلى الأرض ويرفعه مرة أخرى، وخلال الركوع يعترف بخطاياه ويطلب من الالهه متضرعاً العفو والمغفرة. ثم يلقي بعض العملات المعدنية عبر الشبكة كنوع من القربان او التبرع. ويقوم بعدها بقرع الجرس المعلق أمام المعبد ثلاث مرات ليهتف للإلهه بالنغمة، وهو صوت تحبه جميع الآلهة. ثم ينصرف المصلي مبتهجاً مسروراً لممارسة حياته الطبيعية"[١].

كما أشار كيمفر إلى أن هناك العديد من الايام المقدسة في الديانة الشنتوية كان يحتفل بها بقوة في حقبة الايدو. فكانت هناك خمسة مهرجانات سنوية، أُقيمت في أيام كانت تعتبر أسوأ أيام السنة. وكان اهمها ولا يزال الى اليوم هو الاحتفال في العام الجديد. وكانت تتم اقامة الاحتفالات الشنتوية تكريما للالهه املاً في تفادي الحظ السيء. كما ان هناك ثلاث ايام محددة في الشهر لزيارة الاضرحة الشنتوية، يذهب الناس خلالها لزيارة الاضرحة المحلية واداء الطقوس العبادية والاحتفال مع العائلة والأصدقاء لتتمنى لهم الالهه حظاً سعيداً [٢]. بالإضافة إلى ذلك، كما اشار كيمفر أن لدى الشنتويين العديد من الرحلات المقدسة(الحج)، وأهمها الرحلة إلى إيسي لتكريم أماتيراسو. وكانت الغاية من هذا الحج لتطهير الروح وضمان حياة اخروية سعيدة[٣] .

استنادًا إلى ملاحظات كيمفر، من الواضح تمامًا أن الشينتو ديانة حية وتمارس بحرية كاملة في حقبة توكوگاوا. وأشار أيضًا إلى وجود شينتو وبوذية مزدوجة، والتي نجت من العصور الوسطى وربطت كامي الشنتو بالالهه البوذية. ومع ذلك، تم تأسيس مذهب أكثر أهمية من شنتو في اواخر حقبة الايدو، وهو الفرع الذي شأنه شأن المسيحية، كان يشكل تهديداً للنظام الاقطاعي، ومع ذلك، تم توظيف الدين كتحدي مفتوح ضد شوگونية توكوگاوا. من خلال ما يعرف بـــ: "**استعادة او احياء الشنتو**" Restoration Shinto اذ ظهر هذا المصطلح اواخر عصر ايدو ويعود بجذوره الى الكونفوشيوسية الجديدة، التي كانت بمثابة دستور اخلاقي في عهد ايدو والتي دافع عنها الشوگونات بقوة، فقد تم انشاء هذه الحركة التي كان طابعها دينياً الا ان ابعادها كانت ابعاداً سياسية بحتة تحت

---

(١) Ibid.P.111.

(٢) Ibid.P.P.111-112

(٣) Ibid.P.118.

مظلة مدرسة ميتو التي روج رجالها لفكرة "اليابان الصرفة" التي رفضت كل شيء اجنبي بما فيه الديانة البوذية، وقد ركزت على الشنتوية باعتبارها الديانة يابانية متأصلة في المجتمع الياباني. (١)

سميت مدرسة ميتو بهذا الاسم نسبة الى اسرة دايميو ميتو، تأسست من قبل توكوگاوا ميتسكوني Mitsukuni(١٦٢٨-١٧٠٠/١٦٦٠-١٦٩٠)، وأصبحت مدرسة قومية متطرفة. ركز أنصارها على الفكرة الكونفوشيوسية عن التقوى البنوية، ولكن بدلاً من منح الولاء المطلق للشوگون، تقدموا خطوة أخرى إلى الأمام وأعلنوا أن الإمبراطور هو من يستحق الولاء المطلق.كان يُنظر إليه على أنه والد الأمة بأكملها. تم إجراء الكثير من الأبحاث حول كوجيكي ونيهون، والتي أكدت على الأصل الإلهي للإمبراطور وعائلته. ادعى أتباعه أن الولاء له يساوي الولاء المباشر للآلهة،وقد ادعوا أن جميع اليابانيين الحقيقيين يدينون بولائهم المطلق للإمبراطور (٢).

فيما ركزت مجموعة مماثلة، أعضاء في مدرسة كوكوجاكو (حركة التعلم الوطنية)، على إحياء التاريخ والأدب والدين في اليابان. قاموا بإجراء بحث أكثر كثافة على Kojiki وNihongi، واتفقوا على أنه يجب وضع الإمبراطور على رأس البلاد مرة أخرى. امتدت كراهيتهم لجميع الأشياء الأجنبية إلى ما هو أبعد من مدرسة ميتو، حيث أنهم رفضوا الكتابة باللغة الكانجي الصينية، وأسلوب الطبقات عالية التعليم، وكتبوا فقط باللغة اليابانية الصوتية. شعار سونو كان شعار سونو كوكوتايkokutai، تقديس الهيئة الوطنية، صرخة مدوية عندما شوهدت السفن السوداء لماثيو بيري قبالة سواحل الجزيرة(٣). كان هدف مدرسة ميتو الرئيس هو دمج الهوية اليابانية مع الديانة الشنتوية، والابتعاد عن النفوذ الصيني، الذي شعروا أنه قوض الثقافة اليابانية. (٤) ومن المثير للاهتمام أن هؤلاء الرجال الذين كانوا يعارضون بشدة استخدام الدين والكتابة الاجنبية استطاعوا في نهاية المطاف من تحقيق اكبر انتصار لهم من خلال الجمع بين الشنتوية والكونفوشيوسية، وهو اختراع صيني. كما انهم اعادوا البحث في النصوص الأسطورية القديمة لفكرة الإمبراطور سليل الالهه إلى اذهان الجمهور، ولكن فقط من خلال استخدام نموذج الكونفوشيوسية المثالي للتقوى البنوية، استطاعت الحركة تحقيق اهدافها من خلال الولاء والطاعة اللذان حُفرا في أذهان الشعب الياباني، لكن الولاء لمن؟ وأوضح الرجال والنساء من ميتو وكوكوجاكو أن الولاء المطلق لا يكمن في الشوگون الذي في النهاية مجرد بشر، ولكن الولاء يجب ان يكون للامبراطور الذي يعد سليل الالهه المباشر. وفقاً لذلك فقد وضعت هاتين المدرستين

---

(١) Bowker, Op.Cit., P. 166.

(٢) Bellah, Op.Cit., P. 105.

(٣) Littleton, C. Scott. Shinto: Origins, Rituals, Festivals, Spirits, Sacred Places. Oxford and New York: Oxford University Press, 2002, P.49.

(٤) Ibid.

جذور الفكر القومي الياباني، وكان لهما دور فاعل في سقوط شوگونية توكوگاوا. انهى وصول الكومودور ماثيو گالبريث بيري Mathew Galbreth Perry (١٧٩٤-١٨٥٨) والفتح القسري للموانئ اليابانية أمام التجارة الخارجية عام١٨٥٣، عزلة اليابان التي استمرت٢٥٠ عامًا، ولكن في تلك المرحلة، كان نظام توكوگاوا يلفظ انفاسه الاخيرة. اذ كانت ثورات الفلاحين بسبب المجاعة والضرائب المرتفعة منتشرة في جميع أنحاء البلاد. بل إن التهديد المتمثل في تمرد الساموراي كان أكثر صعوبة. كان العديد من الساموراي يعيشون في فقر متُقع، والبعض منهم كان بدون مأوى، وكان هذا يمثل جرحًا كبيرًا لكبريائهم. فهم كانوا يمثلون النخبة من جيش الشوگون، الجنود الذين نظر اليهم الجميع على أنهم أمثلة مشرقة في الأخلاق والشرف. في الواقع، كانت لديهم مكانة مرموقة بالاسم فقط. اذ كان الكثير منهم فقراء للغاية. فقد انظم الكثير منهم إلى مدارس ميتو وكوكوگاكو للتمرد ضد الشوگون وجيشه لصالح الإمبراطور. في الوقت الذي كان فيه ماثيو بيري يزن المرساة في أورادا، وهي بلدة تقع إلى الغرب من إيدو، كان عصر توكوگاوا قد انهار تمامًا. التقى الشوگون وجيشه بمباراتهم، ليس في البنادق والمعاهدات الأجنبية، ولكن في شخص إمبراطورهم الخاص. الدين، مرة أخرى، أنهى نهاية حقبة ومهد الطريق لبداية عهد جديد. كان إحياء شنتو دينًا قوميًا للغاية. ربما كان لديها دعم كونفوشيوسي قوي، لكن غالبية مُثلها ركزت على اليابان النقية التي لا تشوبها شائبة والتي لم يلطخها العالم الخارجي وتأثيراته. فقد أعلن علماء الشنتو أن اليابان دولة خاصة باركتها الآلهة من خلال أحفادهم الاباطرة، ويجب معاملتها على هذا النحو. تجمعت هذه القومية خلال المراحل الأولى من استعادة ميجي، التي بدأت رسميًا في عام ١٨٦٨، واستمرت في النمو حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما تحطمت الأوهام الإلهية اليابانية بالقوة(١).

٦- الخاتمة:

استطاعت حقبة ايدو من صياغة الهوية الدينية للمجتمع الياباني تلك الهوية التي ظلت سمة مميزة للمجتمع الياباني حتى اليوم، وضعت حقبة ايدو اسس علمنة اليابان بطريقة فريدة واستثنائية، فعلى الرغم من القدسية التي كان يتمتع بها الامبراطور، استطاع شوگونات توكوگاوا في ظل نظامهم الاقطاعي الحفاظ على رمزية الامبراطور، الا انه تم تجريده من جميع سلطاته التنفيذية وعملوا على نقل السلطة الفعلية الى الشوگون، وقد استطاع حكام توكوگاو من تحقيق هذا الانتقال السلمي للسلطة وحافظوا على استقلال بلادهم واستقراره لمدة ٢٥٠ عام من خلال توظيف البوذية التي تم تبنيها ديناً

(١) Symonds, Op.Cit., P.P. 48-50.

رسميا للدولة والفلسفة الكونفوشيوسية التي اقامت العلاقات بين المجتمع على اساس هرمي وضعت الشوگون في قمة الهرم وقسمت المجتمع الى اربع طبقات كل منها تدين بولائها للشوگون.

لم تسمح حكومة توكوگاوا لاية هيئة دينية أو مجموعة عقائدية باحتكار تام للدين في اليابان على شاكلة المسيحية والإسلام، وان كانت البوذية متفوّقة في بعض الأحيان، مثلما كانت الحالة في حقبة إيدو، لكن لم يكن بالإمكان في أية مرحلة من مراحل التأريخ الياباني وصف اليابان بانها دولة بوذية الديانة بالكامل، تم تأسيس عملية علمنة اليابان وتطويرها بوسائل شتى على يد مؤسس اسرة توكوگاوا إيه-ياسو أسلافه وخلفائه، الذين سعوا لترسيخ نظام أخلاقي بوصفه جزءاً من نظام توكوگاوا، وبغض النظر عن أداء الوظائف الطقوسية، العامة منها والخاصة، فإنّ طبقة رجال الدين في اليابان أياً كان انتماؤها الطائفي لم تلعب طيلة عصر ايدو، أي دور مهم أو تمارس أية سلطة. فقد تمكن نظام توكوگاوا من صهر المؤسسة الدينية في بوتقة الدولة التي صادرت السلطة الروحية من رجال الدين ولم تسمح لهم بمطالبة المواطنين بولاء واخلاص غير مشروط، وبذلك تحولت الحكومة الاقطاعية الى "**آله فانٍ**" وفقاً لـــ هوبس في معرض حديثه عن الحروب الدينية التي اجتاحت اوربا "**ينبغي على الدولة ان تتحول الى آله فانٍ حتى تستطيع ان تردع الكنيسة**"(١)

كان نظام توكوگاوا الاقطاعي الى حد بعيد اكثر الحكومات تنظيماً التي عرفتها اليابان وهو مدين بنجاحه ليس فقط للطبقة الحاكمة القوية ولكن للاداب والاخلاق التي يوفرها الدين الموحد والقانون الاخلاقي. لقد قدمت البوذية الوسائل لانهاء الصراع الديني واقنعت الكونفوشوسية الناس بأن الولاء والطاعة للرؤساء هي السبيل الوحيد للحياة الاخلاقية. ربما تكون شوگونية توكوگاوا افضل مثال على الوحدة بين الحكومة اليابانية والدين حيث يمكن لشيء واحد فقط ان يحطم مثل هذا النظام المثالي وهو صعود دين اكثر قوة. لقد جاء هذا في شكل يعرف بتجديد او احياء شنتو. على الرغم من الدعم الحكومي للبوذية باعتبارها الديانة اليابانية الرسمية، الا ان ديانة الشنتو لم تمت. كانت الشنتو شائعة في المناطق النائية حيث يمكن للناس ممارسة طقوسهم وتقاليدهم في سلام بعيداً عن اعين المتطفلين للحكومة المركزية. وعلى اي حال طالما لم يعتنق الناس المسيحية ولم يتجاوزا على البوذية فان حمومة إيدو غير مهتمة بما يفعله الناس.

جعلت حكومة توكوگاوا جميع الاديان، باستثناء المسيحية، تتحد وتتفاعل مع بعضها البعض ولايزال الشكل المثالي للدين الياباني مزيج قديم تقريباً من حب الشنتو للطبيعة والاحترام البوذي للاسلاف والمثل الكونفوشوسي للولاء والاحترام. يتفق معظم اليابانيين حتى الذين لايدعون انهم مؤمنون باي

(١) مقتبس في: كولر، هانس صاند، مدخل الى فلسفة الدين، تر:فتحي المسكيني، الباب، العدد ٣، د.ت، ص٤.

دين معين على ان هذه المثُل العليا مهمة للغاية في المجتمع الياباني. بالاضافة الى ذلك فان معظم اليابانيين اكثر اهتماما بالعالم المادي وكيفية العيش فيه بشكل جيد ولكن هذا لايستبعد بالضرورة وجود الدين. وفقا لروبرت الوود "**يميل الدين الياباني الى ايجاد المقدس او المطلق داخل العالم الطبيعي / البشري او على الاقل سهولة الوصول اليه**".

بعبارة اخرى على عكس المثُل المسيحية والاسلامية لايُعنى دين اليابانيين بالخلاص الروحي بل بتعليم الناس كيفية عيش حياة جيدة في العالم الحالي. ان الدين من وجهة نظر اليابانيين ليس وسيلة لتحقيق غاية بل انه رحلة في حد ذاته وبذلك يمكن القول اليابان رسمت ملامح العلاقة بين الدين والدولة والتي استمرت حتى وقتنا الحاضر، على الرغم من هذه العلاقة شهدت تغييراً كبيراً عند وصول الامبراطور ميجي الى الحكم وتبني الشنتوية ديناً رسمياً للدولة لاهداف سياسية. يمكن وصف دولة شنتو و(استعادة ميجي) والوطنية والقومية والنزعة العسكرية التي خلقتها هي السبب الرئيسي في تورط اليابان في الحربين الاولى والثانية.وقد تم تدميرها من قبل الاجراءات القسرية للدول المتحالفة التي حولت الامبراطور الالهي لمجرد بشر، اذ جرد من سلطاته الدينية بموجب دستور عام ١٩٤٦، لتعود العلاقة بين الدين والدولة الى سابق عهدها ووفقاً للاسس التي وضعها نظام توكوگاوا الاقطاعي وفقا للموديل الحداثوي الياباني.